

المحاضرة الثالثة عشر: أدب الطفل التفاعلي

أولاً: مدخل عام إلى أدب الطفل التفاعلي

شهد أدب الطفل في العصر الرقمي تحولاً جذرياً من الشكل الورقي التقليدي إلى أشكال رقمية تفاعلية تتجاوز حدود القراءة الصامتة، لتصبح تجربة حسية - معرفية - وجدانية يشارك فيها الطفل فعلياً.

لقد غيّر الوسيط الإلكتروني طبيعة النص الأدبي الموجه للطفل، فلم يعد النص يُقرأ فحسب، بل يُعاش ويُبنى بشكل مشترك بين الكاتب والمتلقي. وهنا ظهر ما يسمى بـ "أدب الطفل التفاعلي".

ثانياً: مفهوم "الأدب التفاعلي"

يُقصد بالأدب التفاعلي عموماً، كل إنتاج أدبي يعتمد في بنيته وتلقيه على وسائط رقمية تتيح للقارئ التفاعل مع النص وتغيير مجرياته أو المشاركة في إنتاج معناه، وفي سياق الطفل، يصبح الأدب التفاعلي وسيلة تعليمية وجمالية تجمع بين اللعب والسرد والمعرفة، وتراعي خصائص النمو العقلي والانفعالي للطفل.

إذن: أدب الطفل التفاعلي هو شكل من أشكال الأدب الرقمي الذي يُصمم باستخدام التكنولوجيا الرقمية لتمكين الطفل من المشاركة في النص الأدبي، من خلال اختيار المسار، أو تحريك الشخصيات، أو المشاركة في الحوار، أو حتى تغيير النهايات.

ثالثاً: خصائص الأدب التفاعلي

يتميّز الأدب التفاعلي - وخصوصاً أدب الطفل التفاعلي - بعدة خصائص جوهرية تميّزه عن الأدب الورقي التقليدي:

1. **التفاعل (Interactivity):** هي السمة المركزية لهذا الأدب، يُصبح القارئ (الطفل) جزءاً من العملية السردية، إذ لا يكتفي بالقراءة، بل يتخذ قرارات تؤثر في مجرى القصة أو في مصير الشخصيات، مثال: قصة رقمية تتيح للطفل اختيار الطريق الذي يسلكه البطل للوصول إلى هدفه، فينتج عن ذلك نهاية مختلفة.

2. الافتراضية (Virtuality) : النصوص التفاعلية تُنتج وتُعرض في فضاء افتراضي (شاشة الحاسوب، الهاتف، اللوح الرقمي...)، مما يخلق بيئة رقمية غامرة تجمع بين الصوت، والصورة، والحركة، والموسيقى، هذه الافتراضية تجعل تجربة الطفل أكثر انغماساً، وتفتح المجال أمام خيال خصب.

3. الدينامية والتحول (Dynamism and Transformation) النص التفاعلي ليس ثابتاً؛ بل هو قابل للتحويل والتغير في كل قراءة، يمكن للنص أن يعيد تشكيل نفسه وفق اختيارات الطفل، فيتحوّل الأدب من منتج جاهز إلى عملية متغيرة ومفتوحة.

4. تهديد العلامات (The Threat of Signs) : في النص التفاعلي، تتعرض العلامة الأدبية (اللغة، الرمز، الصورة) إلى تغيير مستمر بسبب تداخل وسائط متعددة، فتفقد العلامة معناها الثابت، لتصبح شبكة من الإشارات تتغير دلالتها وفق السياق، والمشاركة، والاختيار. 5. التراب النصي (Textual Environment) : هو الفضاء الذي يجمع كل مكونات النص التفاعلي (النص المكتوب، الصوت، الصورة، المؤثرات، الروابط)....، يصبح النص شبكة ترابطية (Hypertext) لا تُقرأ خطياً، بل تُستكشف عبر النقرات، والاختيارات، والحركة في فضاء رقمي مفتوح.

6. التقطيع (Fragmentation) : النص التفاعلي لا يُقدّم بشكل خطي متسلسل كما في القصة الورقية، بل يُقسّم إلى وحدات أو مشاهد مستقلة نسبياً، يختار القارئ تسلسلها. هذا التقطيع يعزز فكرة اللعب الأدبي ويشجع الطفل على التفكير الاستكشافي.

رابعاً: القيمة التربوية والجمالية لأدب الطفل التفاعلي

✓ يُنمّي الخيال والإبداع من خلال جعل الطفل شريكاً في البناء السردى.

✓ يُعزّز القدرة على اتخاذ القرار والتفكير النقدي.

✓ يُحفّز القراءة النشطة بدل القراءة السلبية.

✓ يُشجّع على دمج الفنون المتعددة (اللغة، الموسيقى، الصورة، الحركة).

✓ يطور مهارات رقمية وثقافية في وقت مبكر.

خامساً: أنساق الأدب التفاعلي للأطفال (الأنواع)

يتجلى الأدب التفاعلي في عدة أنواع أدبية موجهة للأطفال، أبرزها:

1. **القصيدة التفاعلية للأطفال:** هي قصيدة رقمية تدمج بين الشعر والصوت والموسيقى والصورة المتحركة، تتيح للطفل الاستماع، أو إعادة ترتيب الأبيات، أو اختيار المؤثر الصوتي الذي يناسب المعنى، مثال: قصيدة تعليمية على تطبيق تفاعلي تجعل الطفل يضغط على الكلمات ليكتشف معناها أو صوتها الشعري، من خصائصها:

- ✓ موسيقية وصوتية غنية.

- ✓ تعليمية وجمالية في آن واحد.
- ✓ تحقّز الحس الإيقاعي واللغوي لدى الطفل.

2. **المسرحية التفاعلية للأطفال:** مسرحية رقمية تمكّن الطفل من تغيير مجرى الأحداث أو أداء دور إحدى الشخصيات افتراضياً، تجمع بين اللعب والدراما، وتُعرّف الطفل على القيم الأخلاقية والاجتماعية من خلال الممارسة، من خصائصها:

- ✓ تسمح بالتقمص والتمثيل الافتراضي.
- ✓ تقدم بيئة درامية رقمية تعليمية.
- ✓ تدعو الطفل للمشاركة الجماعية والتعبير الحر.

3. **الرواية التفاعلية للأطفال:** هي الشكل الأكثر شيوعاً، وتقوم على اختيارات سردية متعددة النهايات، تُقدّم عبر تطبيق أو موقع إلكتروني، بحيث يختار الطفل المسار الذي يتبعه البطل، كل قرار يُنتج سرداً جديداً، فيعيش الطفل تجربة مختلفة في كل قراءة، من خصائصها:

- ✓ تعتمد على الروابط النصية. (hyperlinks)

- ✓ تتيح تعدد النهايات وتغيير وجهة السرد.
- ✓ تُعزز حب القراءة من خلال التفاعل والفضول.

سادساً: التحديات والآفاق المستقبلية

رغم المزايا الكبيرة للأدب التفاعلي، إلا أنه يطرح تحديات تربوية وثقافية:

- ✓ خطر ضعف القراءة الورقية واعتماد الطفل المفرط على الصورة والحركة.
- ✓ الحاجة إلى إنتاج محلي عربي تفاعلي يعكس قيمنا وثقافتنا.
- ✓ ضرورة تأهيل المعلمين والمربين لاستخدام الأدب التفاعلي في التعليم.

ومع ذلك، يمثل هذا الأدب مستقبلاً واعدًا في تربية الأجيال على الخيال والإبداع والذكاء التكنولوجي.

خاتمة

إن أدب الطفل التفاعلي ليس مجرد تطور تقني في وسائط السرد، بل هو تحول ثقافي وتربوي عميق يعيد صياغة علاقة الطفل بالنص، ويمنحه دور الفاعل لا المتلقي فقط، هو أدب المستقبل الذي يجمع بين الفن واللعب والمعرفة في بيئة رقمية مفتوحة، ويشكّل جسراً بين الخيال الطفولي والابتكار التكنولوجي.